الغنى والفقر والمرض والموت من الفتن

{ من عذاب جهنم وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال } أمرنا بأن نستعيذ بالله من هذه الفتن: فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال. ولا شك أن الفتنة أصلها كل شيء فيه اختبار وفيه امتحان، ومنه قول العرب: "فَتَن الذهب" يعني اختبره الحداد والصائغ ونحوهم، يدخل الذهب أو الحديد في النار؛ حتى يختبر ما فيه من صفاء أو من غش. فكذلك هذه الفتن اختبار من الله تعالى وامتحان للعبد؛ هل يثبت أمام هذه الفتن؟ أم لا يثبت؟ ومن شر الفتن، أو من شرها فتنة المسيح الدجال. وورد أنه شر غائب ينتظر. ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال: { بادروا بالأعمال سبعا: هل تنتظرون إلا غنى مطغيا، أو فقرا منسيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال؛ فشر غائب ينتظر، أو الساعة؛ فالساعة أدهى وأمرّ } ومعنى هذا عليكم بالمبادرة إلى الأعمال بادروا بها؛ أي أسرعوا بالأعمال الصالحة قبل أن يأتيكم ما يفتنكم، وقبل أن يأتيكم ما يردكم عن الأعمال الصالحة ويشغلكم عنها. فذكر هذه السبع، وهي ما ينتظره أو ما يحذره المسلم في حياته، فبدأ بالغنى أن الإنسان إذا استغنى فقد يشغله ذلك الغنى عن أداء ما أوجب الله تعالى عليه؛ ولذلك قال الله تعالى: { كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى } فالغنى إذا كثرت ثروة العبد؛ فإنه عادة يطغى ويتكبر ويتجبر ويرد الحق؛ فلذلك يكون المال والثروة فتنة لكل مفتون، ولا يسلم من هذه الفتنة إلا من أنجاه الله وسلمه. كذلك فتنة الفقر. الفقر أيضا عقوبة وفتنة من الله تعالى، يبتلي بها من يشاء من عباده؛ ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الفقر إلا إلى الله، من الفقر إلا إليه، ويقول في بعض الآثار: { كاد الفقر أن يكون كفرا } فإذا ابتلي بالفقر وامتحن به؛ فإما أن يصبر ويتحمل ويرضى بما قدر الله عليه، وإما أن يفتتن بذلك وينخدع بالناس، ويعبد غير الله تعالى. كذلك فتنة المرض، لا شك أيضا أن المرض من الآلام التي يسلطها الله تعالى على عباده؛ فلذلك استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم. وهكذا أيضا الهرم كان يستعيذ بالله من الهرم الذي يصل بالإنسان إلى حالة لا يميز فيها. وآخر شيء "الموت" الذي لا بد منه لكل أحد.